ابن الرفاعى

مع شروق الشمس و نسمات الهواء الباردة التي تداعب خصلات شعر الصغار و الحمرة تكسى انوفهم و خدودهم .. مع بريق الشمس تنعكس اشعتها على عناقيد العنب التي تتدلى في دلال في انتظار جمعها و ضحكات الصغار تتعالى وتتزامن مع زقزقة العصافير و كأنها لوحة فنية مسموعة و مرئية كم هي رائعة تلك الضحكات البريئة التي لم تلوثها هموم الحياة و أعبائها .

ويقف بهلول الخادم يقطف لهم الثمار و يتذوق بعضها ليتأكد من حسن مذاقها ويداعب الصغار بقذفها عليهم أحياناً و يلتقطها الصغار في مرح و سعادة ..و يفتعلون الفوضى في أنحاء الحديقة بالجري و الصراخ .. و فجأة تجحظ عين الخادم و يفغر فاه و علامات الرعب بادية عليه .. لقد عكر ضجيجهم صفو احدى الكائنات ! لقد وجد شيء عظيم يتحرك بين شجيرات العنب في غضب انها .. أفعى سوداء عظيمة تتدلى من شجيرات العنب و اذ بها تسقط أرضاً و التفت حول نفسها وأخذت وضع الهجوم ... انتابه الرعب من منظرها الذي أفقده النطق للحظات و أصبح كتمثال حجري اتخذ هذه الوضعية ! و عندما استوعب الموقف صرخ في الأطفال اجروا .. اهربوا ..

انتابهم الرعب من منظر الافعى و من الرعب البادي على الخادم .. صرخوا بعلو صوتهم في رعب ! تعثرت الصغيرة ووقعت مباشرةً امام الافعى و تصرخ ..و اذا بالخادم يستفيق من جهومة خوفاً على الصغيرة و استبد به الرعب و حاول ابعاد الافعى فجرّ الطفلة من قدمها بعيداً عنها ..الا انها التفت على ساقة و طرحته أرضاً و لدغته

من رقبه و التفت عليه و أصبح وجهها في مواجهة وجهه الذى أزرق و رغاوى بيضاء تخرج من فمه تنبه الأب لصراخ الأطفال فجاء مسرعاً يتعثر و تبعته أمه و زوجته و ما أن رأوا الافعى ملتفة حول الخادم تتأكد من موته بدى الفزع على وجوههم ..

أخذت زوجته الأطفال و اسرعت الى داخل المنزل اما الرجل فحاول جاهدا تخليص الخادم من الافعى دون جدوى و امه تستحلفه بالله ان يتركها و شأنها . لقد مات الخادم .. عندها تركته الحية و هي ترجع الى الوراء بظهرها ووجهها في مواجهتهم و الام تبكى بحرقة و ابنها يحتضنها بقوة محاولا طمأنتها و هي تنتفض ..

و منذ تلك الحادثة .. منع الرجل اطفاله للخروج للحديقة ! ولكن هناك أصوات أجراس تصدر بين الحين و الاخر و الام انتابها الخوف من شيء مجهول و تحاول جاهدة منع ولدها من الخروج و لكنه يطمئنها و يغافلها و يخرج و عندما تعلم بخروجه لا يغمض لها جفن حتى يعود! حاول الرجل البحث عن شيء يخلصه من تلك الافاعي .

و جلس بين رفاقه شاحب الوجه مهموم فسأله عم حمدي و هو يجلس أمام دكانه الصغير :

-ما بك ؟ مالك تبدو على وجهك علامات الخوف !

لا شيء يا عم حمدي !

-أهي قصة الخادم الذي قتلته الافعى ؟

-نعم .

-نحن في الصيف يا ولدي و تخرج الحيات بين الحين و الآخر طلباً للبرودة أو الطعام أو أن أحدهم استفزها .. فمعظم حدائقنا و بيوتنا و زرائبنا لا تخلو منها فإنها تعيش معانا منذ اجدادك !

-لا يا عم حمدي انها هاجمت بهلول عن عمد ! و لم تتركه الا عندما تأكدت من موته !

-اذا عليك بنبات الشيح ياولدي فأنا أزرعه حول منزلي و حديقتي .

عندما عاد من الخارج ودخل غرفة أمه وجدها ممددة على فراشها الزهري .. عندما رأته اخذت تبكى متوسلة اليه ان لا يغادر دون علمها و هو يحاول طمأنتها و اخبرها انه وجد الحل الشافي لإبعاد الحيات عن الحديقة فقال سنزرع نبات الشيح فهو يبعدهم

قالت :

-هراء يا ولدي لن يبعد الافاعي عن هنا غير الدماء !

-أي دماء يا أمي و لما تقولين هذا ؟ و كيف عرفتي ؟

لم تجيب ! و لم يفهم ما الذى تقصده أمه ولكنه حاول طمأنتها و هي تبكي دون ابداء سبب لخوفها أو أن هناك ما تخفيه و بالفعل في الصباح الباكر طلب من الخادم زراعة النبات بداية من حول المنزل و حول سور الحديقة.

و ذهب معه و بدأ الخادم في عمل حفر صغيرة على بعد نصف متر من بعضها البعض .. و يحفزه حازم بين الحين و الحين حتى ينشط الخادم و ينهي مهمته !

ولكن هناك شيء افزع الخادم!

انها بعض أصوات الاجراس الذى حاول البحث عن مصدرها الا انه جرى فزعاً و لم يستجيب لحازم عندما نادى عليه!

ما الذى افزعك ؟

ماذا رأيت؟

.. و اقترب ببطء و حذر شديد حتى وجد أفعى عظيمة ترفع ذيلها و تصدر صوت الجرس و بعض الحيات الأقل حجمٍ و كلهن أخذن وضع الهجوم!

فابتعد قدر استطاعته و هو يتلفت ورائه هل يتبعوه أم انهم مازالوا مكانهم !

و أصبحت الحديقة من المحرمات عليهم و الخدم يرفضون الخروج لها !

يصحو من نومه فزعاً كلما تذكر ذلك المنظر أو الكوابيس المزعجة عن الحيات و الافاعي .!

و لم تجد الام بدٍ عن أخبار ولدها عن سر تواجد الافاعي و سر تربص الافاعي ....!

نظر حازم الى صغاره و هو يشعر بالخوف عليهم

و تنهد تنهيده تنخلع لها القلوب .

ودعهم و انصرف بخطوات بطيئة كأنه لا يريد أن يتركهم ..

و ذهب لحديقته و جلس في ذلك المكان المنعزل الذى اعتاد والده الجلوس فيه وقت خلوته و كأن ما اخبرته به والدته حمل ثقيل عليه اسند رأسه على ظهر الكرسي الخشبي الكبير المطعم بالنحاس بأشكال الحروف الهيروغليفية و كأن نقشت عليه قصة أو حكاية و قبض بيدية على مسندي الكرسي و شعر بشيء غريب كأنه في غيبوبة .. يرى ما حوله و لكنه لا يعير ما هذا و وجدها أمامه و قد أخذت وضع الهجوم و نفشت رأسها و السم ينطلق عبر لسانها و كأنها تتحداه و تواجهه و لكن شيء ما يبقيها بعيدة عنه قدرا ما تخشى الاقتراب من الكرسي ..

و أستفاق على هزة قوية من والدته حازم ...

حازم .. استفق

استفاق .. و هو يلهث قائلا :

-أمي ..

-لقد رأيتها سيدة الحيات

- و كانت في وضع استعداد لمواجهتي

-و الكرسي هو ما ابقاها بعيدة عنى ..

- اذا تلك الرسومات على الكرسي هي ما ابعدتها ..

ردت الام قائلة :

-انها تعويذة يا ولدى و قسم

-ما ان تلوته على بنو جنس الحيات الا و استجابت لك طائعة

-و لكن هناك تعويذة أخرى هي ما يجب عليك البحث عنها و تلاوتها كي تحطم التعويذة القديمة و نعيش في سلام ..

رد حازم :

-أمى .. لم أعد أفهم شيء أأنا في خطر حقيقى يا أمى ؟

ردت :

-يا ولدى طوال الثلاثون عامٍ الماضية لم يغفل لي جفن

-و أنا أحرصك و أتلو عليك آيات الحفظ و تعويذة الحماية

-و لكن قد آن الأوان ياولدى أن تعرف كل شيء

-و أن تبحث عن تعويذة الخلاص لينتهى ذلك الكابوس ..

- سأقص عليك كل شيء ثم قرر بعدها ..

بدأت الحكاية عندما طلب فرعون من السحرة أن يجتمعوا و ان يأتوا بسحر عظيم

كان هناك شاب صغير يتعلم السحر مع كبير السحرة يدعى هام

أمر كبير السحرة هام أن يأتي بالحيات ذات الاجراس و الكوبرا .. و أن يحظر لدغهم أو سمهم ..

كان هام ذكى فنشر الجرار في الصحراء

حيث توجد الحيات ووضع فأر حي داخلها و قيده واسند الغطاء بعصى بحيث اذا دخلت الافعى للجرة عندما تهاجم الفأر يتحرك الغطاء و يغلق الجرة بإحكام و هكذا اصطاد الكوبرا و ذات الاجراس !

عندما عاد للساحر فرح به و أعطاه مكافأة كبيرة

و وعده أن يلقنه السحر و يعلمه كي يسيطر على ذلك الوحش الزاحف !!

لكن الحيتان حفظت رائحة هام و لم تنسى قط انه من تسبب في اسرهم و ممارسة السحر عليهم و كانتا تكرهه بشده لكنهم أيضاً يخافونه لسبب خفى ..

استدعى الساحر الأعظم هام و أتى بالجرتين و جلس في أحد أركان الغرفة و الساحر الأعظم يرتل تعاويذه بهمهة تارة و بصوت مرتفع تارة.

و هام يحاول جاهداً حفظ ما يسمع من تعاويذ

لقد وعده الساحر أن يعلمه و لكنه على يقين انه سيبقى معه سنوات طويلة حتى يتعلم منه الشيء البسيط

كي لا ينافسه بعد ذلك و سيظل هو الساحر الأعظم المهيب الذى يخشاه الجميع ..

قرر هام ان يتعلم و يكتب كل ما يراه أو يلاحظه حتى يتعلم كل شيء و لن يسئل الساحر عن شيء حتى لا ينتبه له الساحر .

بعد حوالى ساعة من تلاوة التعاويذ فتح الجرتان و أدخل يده و أمسك بالحيات ووضعها أمامه ثم أمرهم :

بالسير يميناً فساروا يميناً .... ثم يساراً فمشوا يساراً

ان تقف في وضع الاستعداد للهجوم و فعلوا ثم أمرهم بالعودة للجرار ففعلوا ..

و هام لا يصدق ما تراه عينه .. ثم أمر هام أن يعيد الجرار مكانها فأعادها ..

و جلس يحاول استعاده ما سمعه من تراتيل و لكنه نسى معظمها غير التعاويذ التي لم يسمعها .

فقرر البحث عنها في أشياء الساحر الأعظم

و كان الساحر أكول يعشق اللحم فأحضر له شاه و سلخاها وجهزها للشواء و أشعل نيرانه للشواء و عندما لمح الساحر من بعيد وضعها تشوى فتطايرت روائح الشواء الى أنف الساحر الذى هرع الى هام يمتدح هذه الروائح الشهية و جلس على مائدته في انتظار طعامه و وضع هام الشاه كاملة أمامه و أتى بالخمر حتى بدأ الساحر في تناول الطعام و ذهب هام الى غرفة الخلوة الخاصة بالساحر و الذى يمنع الجميع من الاقتراب منها .

كانت غرفة بسيطة ..

بها بساط من جلد البقر و وسادة صوفية و عشرات اللفائف من الجلد

و التي بها كل التعاويذ التي يستخدمها الساحر .

و التي قرر هام استعارة كل يوم أحد التعاويذ و نسخها عنده و اعادتها لمكانها دون علم الساحر .

ولكن كيف سيفعل هذا و الساحر لا يغادر تلك الغرفة الا لأمر هام .

و أخذ أحد المخطوطات و خرج يتلفت يميناً و يساراً

و سمع نداء الساحر له و قد أثر فيه الخمر فأخفى اللفة في ثيابه و هرع اليه فأمره أن يأتي بالجرار فأسرع الى غرفته يخفى المخطوطة في فراشه

ثم ذهب لمكان الجرار و أخذها للساحر و جلس قريباً من الساحر هذه المرة فهو ثمل و لن يعير له بالاً ..

فأخذ الساحر يردد تعاويذه و هو مخمور فرتلها بصوت عال و هام يردد معه و يكرر و نسى الساحر احد التعاويذ

و ادخل يده و أخرج الحيات فخرجت و لم تؤذيه

و لكن لاحظ هام انها ليست خاضعة له كالمرة السابقة

فعلم ان هناك خطأ ما ..

فأمسك عصا في يده تحسباً لأى أمر يطرأ

و بدأ الساحر يأمرها بالسير للخلف و هي لا تستجيب بل أخذت وضع الهجوم !!

و استعدت لمهاجمه الساحر فأقترب منها هام

و الساحر لم يستوعب بعد ما يحدث و عندما همت الكوبرا في مهاجمة الساحر كان هام اسرع و ابعدها بالعصا

فبعد الساحر غير مصدق ما يحدث و أخذ يرتل تعاويذه في لجلجة و هام يرددها معه

و ردد التعويذة التي نساها فرددها هام فخضعت تاملِ الحيات فعلم هام ان تلك التعويذة هي التي تخضعهم ..

و وضعهم الساحر في الجرار و أمره بإعادتهم و هو سيذهب ليستريح .. و بعد ان دخل الساخر مخدعه ..

ذهب هام للجرات و اخذ يردد ما سمعه من تعاويذ و التعويذة الأخيرة ثم أدخل يده و أخرج الحيات و أمرها بالمشى ثم الوقوف ثم الاستدارة و هي تستجيب له في خضوع تام و عندها أعادهم للجرار

و ذهب لغرفته و خط كل تلك التعاويذ كى لا ينساها و أخرج المخطوطة و نسخها على ورق البردى

لقد كانت تعويذة سحر أعين الناس ليصدقوا أي شيء توهمهم به

و قرر ان يجربها على أحد رفاقه

و ذهب اليه و في يده قطعة خبز

و سئله :

ما هذا ؟

رد الرجل :

هذا خبز

- فضحك و قال بل هذا لحم ..

-فضحك عليه الرجل باستهزاء

فرتل هام التعويذه ثلاث مرات

و سئله ما هذا :

فرد الرجل:

- هذا لحم شهى أريد أن اتذوقه ..

و جاءت زوجة الرجل و سئله هام امامها :

ما هذا ؟

فرد:

لحم شهى

فقالت:

بل هو خبز يارجل

قال :

لا بل لحم شهى

فعلم هام أن التعويذة صحيحة .

2

و ازداد إصرار على نسخ كل تعاويذ الساحر

و عندما طلب منه الساحر ان يأتي بالجرات لان الوقت ضيق

و فرعون يريد سحر عظيم ..

فاعاد التعويذة مكانها و اخفى غيرها و احضر الجرار

و جلس بالقرب من الساحر

فنهره

و قال له :

-تجلس في هذا الركن !!

-و لا تقترب

فقال له هام :

-سيدى كادت الحيات تلدغك المرة السابقة

-و لولا تدخلي كنت من الأموات الأن

- لقد كنت ثملاً..
-و أخاف ان تصيبك الحيات بسوء
-و أنت سيدى و معلمي
- و قد وعدتني أن تعلمني
-فأنا خادمك الأمين
-و تلميذك النجيب
- الذى سيفنى عمره في خدمتك سيدى الساحر الأعظم .
لقد قالها في خضوع و تواضع حتى خال هذا على الساحر
و قال له :
-سأعلمك اليوم ما لن تحلم بتعلمه يوماً ما.
،،، ورتل تعاويذ جديدة على الثعابين و أمر هام بفتح الجرار
و اخراج الحيات فأدخل هام يده و هو خائف من تلك التعاويذ الجديدة فوجدهم في خضوع تام .
و أمر الساحر هام بوضعهم على كتفه فظلت الحيات كما وضعهم و أمرهم بالنزول من على كتفيه فنزلوا ..
ثم رتل بعد التعاويذ بصوت صارم قوى و هو يشير اليهم بإصبعه فاختفت الحيات !!!
و لم يصدق هام ما رأى .
و أمر هام أن يغلق الجرار و يعيدهم فسئله هام :
-كيف و الحيات اختفت
فضحك الساحر قائلاً:
-انظر في الجرار
فنظر فوجد الحيات بها فاستعجب لذلك و اعادها مكانها
و هو يعيد و يكرر تلك التعويذة

و اسرع لمخدعه و خطها قبل أن ينساها ثم نسخ التعويذة الأخرى التي تسخر الجان للبحث عن الذهب و الكنوز و اخضاع الجان للساحر ...

و ارسل فرعون الى الساحر الأعظم اجمع كل السحرة في العيد و أن استطعتم كشف سحر موسى

سيكون لكم عطاء كبيراً و مكانه عالية !!

و طلب هام من الساحر السفر معه و حضور تلك المناظرة

فرفض الساحر و طلب منه حراسة بيته جيداً

و ذهب السحرة

و قابلهم فرعون بنفسه

وقال:

-اروني شيئاً من سحركم

- سترى يا سيدي ما يدهشك

- لقد رأيت بالفعل ما أدهشني من سحر موسى و اريد الأن ان أري سحركم

- اذا سأبدأ أنا سيدى الفرعون الأعظم

و قام الساحر الأعظم بترتيل تعاويذه و اخرج الحيات و تحركوا كما أمرهم الساحر ثم أخفاهم ثم طلب من كبير الوزراء هامان ان يقترب

و ينظر في الجرار فوجد الحيات بها و استعجب كثيراً مما رأى فقال فرعون:

- هذا يكفى .

ووعدهم بالكنوز أن غلبوا موسى

و في يوم العيد اجتمع الناس جميعاً و احضر جنود فرعون عرشه و جلس هو و حاشيته في ترقب لما سيحدث

و جهز السحرة ألاعيبهم واستعدوا

و جاء موسى

و قال فرعون:

- ابدأ يا موسى و أرنا ماذا عندك

فقال له موسى :

-بل يبدأ السحرة

فضحك السحرة و ظنوا انه خائف و لا يعرف ماذا يفعل .

و بدأ السحرة في ترتيل تعاويذهم .ليسحروا أعين الناس !!

و قد كان...!

و ألقوا الحبال و العصي فخيل للناس أنها تمشى و تتحرك و تتلوى بما فيهم فرعون.

و هلل الجمع اعجاباً بما فعله السحرة ..

و هنا ألقى موسى عصاه فتحولت لثعبان عظيم يأكل ما صنعه السحرة فاندهش السحرة ..ان هذا ليس بسحر

و لم يلقى موسى عليهم التعويذه ليسحر أعينهم بل أنه ثعبان حقيقياً فخر السحرة سجداً لرب موسى .

و هال فرعون ما رأى لقد أتى بهم لينصفوه على موسى فاذا بهم يؤمنون برب موسى .

فأمر بأرجلهم و أيديهم فربطت و قطعت !

3

لقد جال و صال هام في بيت الساحر الأعظم و خط كل مخطوطات الساحر الأعظم الى أن جاءه خبر السحرة و فرعون فخاف هام أن يناله ما نال السحرة ..

فجمع كل مخطوطات الساحر و كل البرديات التي وجدها و كل أدوات الساحر و أعد راحلته .

و ذهب الى الصحراء و عندما وصل لمنطقة قريبة من أحد الابار نصب خيمته و جهزها و استراح بها و في اليوم التالى تجول في المنطقة و جمع بعض الاخشاب من الأحجار

و بنى بناء قوى من الأحجار و افرع الأشجار ليحتمل رياح الصحراء وتأويه من الضواري.

وبدأ يتعلم في صومعته كل مخطوطات الساحر

وبدأ يتلو التعاويذ ويتعلم!

وإذا بالمصباح يطفئ !

ووجد بعض الجلبة وارتفع صوت حماره في ذعر ..

حتى أغنامه !

استعجب مما يحدث ..حاول إشعال المصباح مرة أخرى فوجد المكان يعج بكائنات غريبة لا يرى وجهها من كثافة شعرها ولكن هناك عيون كأنها بصيص من نار الجمر.

وقف شعر رأسه من هول ما رأى

وقال :

-من أنتم ؟

ولا مجيب ..لقد شل تفكيره

وأرتعد جسده. ولكنه حاول استعاده رابطة جأشه

وتذكر أن التعويذة التي كان يرتلها للجلب ولم يفهم معناها ولكنه فهم الآن انها لجلب الجان والشياطين وفهم لماذا عندما قرأ الساحر التعويذة اختفت الحيات

ودخلت الجرار لقد ادخلها الجان داخل الجرار

فأسرع بعينيه في المخطوطة

ليجد تعويذه انصرافهم ورتلها وبعدها لم يجدهم !!

مر عامان حتى نسى الناس ان هام من تلاميذ الساحر الأعظم و عاد الى المدينة و قد أتقن كل فنون السحر و تفوق على سيده الساحر الأعظم .

و قرر الزواج من أحدى الفتيات كى يرزق بالأطفال ليعلمهم ما تعلمه من سحر

و بالفعل تزوج ميرا.. و انجب خمس فتيات

ولكنه ينتظر الذكر ليعلمه ما تعلمه و قرر الزواج من أخرى و لكن رأى أمراً جعله يغير رأيه ..

لقد كانت طفلته الكبرى تراقبه و تفعل مثله

و تعلمت منه بعض السحر دون ان يدرى ففرح بها كثيراً

و قرر ان يعلم فتياته ما تعلمه و لكن لم يستجيب منهم غير فتاتان

و لكن الكبرى كانت ماهرة و ذكية و تتعلم بسرعه

أما الصغرى فكانت تستخدم السحر في إيذاء المخلوقات الضعيفة فعزف والدها عن تعليمها و اهتم بالكبرى

فملئت الغيرة قلب الصغيرة تجاه أختها

و التي حاولت بشتى الطرق اثبات العكس لوالدها

فكانت تختلق الحكايات و الوشايات حتى تعاقب أختها الكبرى

و كبرت الفتاتان و تزوجت الكبرى من أحد الرجال
و انجبت له الغلمان و نهجت منهج ابيها في تعليم أحد أبنائها السحر
وكان هام يعلم حفيده و يرى حلمه يكبر أمام عينه
واطمئن هام ان ابنته تسلك منهجه هي و صغيرها انه سيرث مخطوطاته بعد موتها ولكن حدث امر لم يتوقعه احد فالحيتان لم تنسى هام
و وصل هام من العمر أرزله .
و كان يختفى في خلوته بالأيام و الأسابيع دون أن يعلم عنه أحد شيء
و عندما تحاول ابنته الدخول اليه يقابلها على باب محرابه و يطمئنها عليه و يطمئن على حفيده ثم يدخل لخلوته
وكان يخرج مبكرا مستنداً على عصاه يتفقد أغنامه و بقره ثم يجلس على ضفاف النهر حتى تظهر الشمس في كبد السماء فيسرع لمحرابه ..
و في أحدى المرات و هو جالس على ضفاف النهر إلتفت إحدى الحيات على عصاه من الأسفل فنظره ضعف بفعل السنين
و لم ينتبه لها و دخل محرابه و جلس علي وسادته الصوفية
و اسند رأسه و فاجأته الحية بلدغة مميتة في قدمه شلت حركته ثم دخلت بين ملابسه ولدغته في رقبته و لكنه أمسك بها و هو يغرغر و قضمها باسنانه فماتا الاثنين ..
و لم يعلم أحد بأمر موته ثلاث ليالى حتى ظهرت رائحته و أقتحم الجميع المحراب ليجدوه ميتاً و بقايا الحية في فمه و يده ..
و جاء الطبيب ليحنط جثته التي بدأت في التحلل
و طلب الكثير من الذهب ليتحمل تلك الرائحة

فأجزلت اليه ابنته الكبرى العطاء .. و حنط هام

4

و ظل الإرث ينتقل من حقبة لحقبة حتى الابن العشرون و كان يشبه جده الأول في الذكاء و الحيطة و الفطنة و عندما انتقل اليه الإرث من أبيه قرر الحفاظ عليه للابد عبر الأجيال القادمة و لكن كيف؟

فقرر بناء قصر عظيم متين البناء يعيش لأجيال كثيرة ولكن من أين سيأتي بالمال الكافي لبناء القصر ؟

و فكر و فكر

لماذا لا يستعمل السحر في الحصول على الذهب الكافى لبناء القصر و ذهب لمقابر اغنياء الفراعنه و بدأ يلقى تعويذة الجلب فسمع صوتاً يقول له :

- أمرك ..و لم يرى شيء

- من أنت و لماذا لا أراك ؟

- انا ملك الجان في هذه الضاحية و لم يجرأ ساحر في احضاري من قبل

- كيف تجرؤ على القاء تعاويذك هنا بدون استئذان

-قاطعه الساحر انت هنا لطاعتي و ليس لإلقاء الأسئلة

-اريد الذهب الموجود بالمقبرة

-سأنفذ لك ما طلبت ولكن بشرط ان لا تلقى علينا التعاويذ مرة أخرى

-أنا ما يحدد ذلك و انت هنا لاطاعتى و حسب

و أمره بإحضار الذهب الموجود بالمقبرة فذهب و عاد اليه فارغي الأيدي و قال هناك كوبرا عظيمة تحمى الذهب ..

فعاد شارد الذهن ..

و فتح ذلك الصندوق العتيق ووجد مخطوطات جلدية و مخطوطات ورقيه و بعضها محفوظ داخل الكتان و محكم الغلق ففتحها لقد وجد ضالته انها تعويذة اخضاع الحيات

و حفظها عن ظهر قلب و ذهب للمقبرة و جلب الجان مرة أخرى و طلب منهم فتح المقبره له لكى يصل للكوبرا و يخضعها و بالفعل فتحوها له و دخل و القى التعويذة و اذا بالحية تخضع له فأخذ ماشاء من الذهب و خرج و امرهم باغلاقها ففعلوا و لكن قد تغير حاله و بدأ حلم غريب يراوده انه يرى حية عظيمة لها رأس امرأة تريد أن تعاهده و هو يستيقظ فزع لمدة ثلاث ليالى متتالية فعرف أن الأمر جدى ولكنه لا يعلم كيف هذا ...

و في اليوم الرابع أتته الحية قائلة نريد المعاهدة أن لا تؤذينا و لا نأذيك و تكون المعاهدة داخل القبر الذى دخلته

و لكنه قال لا بل ستأتى انتى الى في غرفة خلوتى و سأنتظركم غداً منتصف الليل ..

فقالت اترك الباب الخلفى مفتوح و لا يدخل بيتك غيرك و الا سيقتل فقال انا أعيش وحدى لن تجدى غيرى ...

قام من نومه فزعاً مالذى اتفقت عليه ماذا افعل ؟

و رجع الى ارثه من المخطوطات و جلس يخطط لما سيفعله ان تركهم في سلام فلن يستطيع بناء القصر و لكن ان اخضعهم فسيتم بناءه ..

و في الليل و البلده كلها قي ثبات عميق شقت جيوش الافاعى رمال الصحراء و انطلقت في صفوف كأنها في حرب هناك أفعى سوداء على الميمنة و أخرى على الميسرة و يتقدمهم أفعى عظيمة تتقدم في ثبات و الكل يتبعها و في الميعاد تقدمت الافعى على الميمنة و الميسرة الى داخل المنزل تتجول فيه حتى اطمئنوا انه خالى الا من الساحر فدخلت الملكة يتبعها الحيتان و دخلت على الساحر ..

فوقف لتحيتها

-اهلا و مرحبلِ بملكة الحيات

و لكنها لم تتحدث كما تحدثت في حلمه فتلى تعويذه الجلب و جلب جنيلِ ليكون همزة الوصل بينهم و تلبس الجنى الحية و تحدث قائلاٍ :

-أيها الساحر العظيم لم يحدث ان سخر انسيلِ حية غير جدك

-ولكنه لم يسخرها في سرقة أموال الموتى..

- و للأموات حرمة يجب أن لا ينتهكها أحد

-اننا حراس الكنوز و سكان القبور .. انها منازلنا

- أيها الساحر اتركنا و شئننا و سنتركك و شأنك

-و الا ستكون الحروب و الثأر بيننا و بينكم ..

صمت قليلاٍ ثم قال:

- أيتها الملكة العظيمة إننى أحمل عبء ثقيل على كاهلى

-و هو حراسة إرث أجدادى و يجب أن أبنى قصر عظيم لإخفاء الإرث به ..

قالت :

-إذا أبنى هرماً وسط الصحراء و سنقوم نحن بحراسته لك

-على أن لا تستعمل تعاويذك لاخضاعنا

-انظر خارج منزلك

فنظر فوجد جيش مهول من الحيات يفوق عدد الحصى في الأرض فكر

قليلاً ثم قال :

-اذا أريد بعض الكنوز و الذهب لبناء الهرم

فقالت :

-اتفقنا

فقال :

-اذا سنعقد المعاهدة بعد بناء الهرم ..

-احذر غضب بنو الحيات و موعدنا بعد بناء الهرم .

و خرجت و ورائها جيش الحيات و هو يشاهد ذلك المنظر المهيب جلس يفكر و يفكر و يحدث نفسه ..

-مالذى اقحمت نفسى فيه ؟

-سوف تكون نهايتى بلدغات تلك الحيات ..

-و لكن حتى يكتمل بناء الهرم

-سأمتلك ثروة طائلة من الذهب .. ذهب الأموات

-و لكن ماذا بشأن اللعنات التي يلقيها السحرة على تلك القبور ..

ثم ضحك عالياً و ضحك و ضحك

-أنا الساحر أنا من يلقى اللعنات و تملكه الغرور ..

-أنا من سيسخر جيوش الحيات لخدمتى و طاعتى .
-أنا الساحر الأعظم
لقد تملكه الغرور و لكن أيضا الحيطة ..
ذهب لكنزه الثمين و اخذ يدرس كل ما جاء به
و استمر الحال شهراً كاملاً حتى أنه هزل جسده من قلة طعامه و كثرة سهره لقد أتقن كل ألوان السحر و من شدة تركيزه جمع بين بعض التعويذات لتصبح تعويذات جديده
و قدرات جديده ينفرد هو فقط بها و ذهب لاختيار مكان البناء و ذهب للمهندس كى يعد له التخطيط اللازم لذلك ..
اعتقد المهندس انه يريد بناء هرم ليدفن به تشبهاً بالملوك و العظماء
و سأله المهندس :
-هل تمتلك الذهب الكافى لانجاز العمل
-بالطبع لدى ما يكفى
-اذا اتفقنا ستأتى الى بالذهب و سأشرع في جمع الصخور
-و ابدأ البناء
-متى ستنتهى منه ؟
-بعد خمس سنوات من بدأ العمل

5

و عندما حل المساء ذهب الى المقبرة ليلقى ملكة الأفاعي و طلب منها ان تخبره بأماكن المقابر المليئة بالذهب و بدأت رحلة البناء و تزوج وانجب فتى و فتاة و ذاع سيته وسط العوام و الكهنة حتى أنه أصبح ذو شأن في زمن قياسي و أشتهر بقوته و قدرته الفائقة حتى أنه أصبح يفعل أي شيء مقابل الذهب و استمرت الأفاعى في امداده بالمعلومات عن أماكن الذهب أحضر الخدم و الجوارى و لخوفه على ذهبه سخر احدى الافاعى لحراسته لقد نسى امر المعاهدة و عاد ليطلع من جديد على ارثه

من مخطوطات و تعاويذ سحرية و جرب تعويذات أخرى جديدة للاخضاع التام لاى كائن حى و بعد عدة محاولات استطاع ان يخترع تعويذه حماية و اخضاع و ما ان تليت التعويذة على اى كائن حى حتى سلبته قوته و أصبح عبداً ذليلاً لمن يرتلها و خطها على رقعة من جلد الحيوانات بماء الذهب و بلغة أبائه الأولى التي يحفظها عن ظهر قلب حتى لا يستطيع أحد قرائتها أو استعمالها غيره ..

و أصبح شغله الشاغل تلقين أبنائه تلك اللغة حتى أنه كان يجلد أطفاله ان تقاعسوا عن الدرس و ان اعترضت زوجته احضر لها أفعى عظيمة تلزمها حجرتها حتى يعاقب اطفاله و أصبح الجميع يخشاه حتى أهل بيته

و اجتهد أطفاله خوفاً منه ..

و بعد ستة أعوام انتهى البناء و كان هرماً ليس بالكبير و لكنه رائع البناء و متقن و منظم من الداخل لسراديب و حجرات خفية و

محراب كبير و مهيب للساحر و غرفة دفن لها باب سحرى و سراديب أخرى تنتهى في عمق الصحراء لاضلال السارقين و الغزاة و دخل هرمه مع كبير المهندسين حتى حفظه عن ظهر قلب .. و أصبح يتردد على محرابه يومياً و يأخذ أطفاله معه و يعلمهم فنون السحر و في الجانب الاخر في كهف الافاعى دب القلق و ذهبت الحيات الى ملكتهم لتخبرها بأمر هرم الساحر

و انه انهى البناء و أنه سيطر تمام على بعض بنى جنسهم بتعويذة جديدة لم تعرف من قبل و انه سوف ينقلب عليها استبد القلق بالملكة و رأت انه من الضرورى حسم الامر قبل أن يستحيل علاجه ودعت الملكة كل طوائف الحيات لاجتماع و التشاور في الامر و لكن على الجانب الاخر الحيات التي أخضعها الساحر و التي سلبت ارادتها أخبرت الساحر بشأن الاجتماع

و ذهب الساحر لبيته و اطفاله و القى تعويذته فكان كل من يمر بجوار بيته يخضع له و تحرز و القى على نفسه تعويذه الحماية .. و جمع أتباعه من الجن و الحيات الخاضعة له و طلب الاذن بحضور إجتماع الحيات فساد الهرج و المرج ..

و عندها كشرت الملكه عن أنيابها و استعدت للمهاجمه قائلة له على لسان الجان:

- كيف تجرؤ التطاول على اجتماعنا و من أخبرك بامره ؟

-الم تعلمى أيتها الملكة العظيمة أننى المهيمن هنا و لست انتِ؟

-اذا ما بلغنى صحيحاً ..هل ستلغى الاتفاق و لن تعقد المعاهدة ؟

كان منظرها مرعب لقد استعدت لوضع الهجوم و أصبح طولها فوق الثلاث أمتار و استعد حراسها و أتباعها

حينها أدرك مدى حمقه بمجيئه لعقر ديارهم ... وهمت أن تلقى سمها فيعمى بصره ثم يفعلوا به الأفاعيل ..

فسارع بإلقاء تعويذته التي شلت حركتهم و هربت بعض الافاعي في المؤخرة خوفاً من أن تصيبهم لعنه الساحر و أصبح كل من سمع التعويذة خاضع له ..

اما الافاعي الهاربة وصلت لعمق الصحراء بعيداً عنه و أخبرت جميع أنواع الافاعى بأمره فأصبح على قائمة أعداء الأفاعى الذي يفرون هاربين عند سماع اسمه .

6

و توسع الساحر و كبر أولاده و علمهم كل فنون السحر و التعاويذ و أخيراً أصبح أولاده على استعداد لتحمل عبء الإرث فاخبرهم بامره ووصاهم بحمايته و تعليم أولادهم حتى يبقى الإرث للابد في عائلته و دفن الإرث في الهرم و توالت الاحداث و مرت السنوات و الكره الدفين باقى لعائلة الساحر قاهر الافاعى و الحيات ولكن الحيات الهاربة كانت تتحين الفرصة للنيل منه و بعد جهد و تحين الفرصة و في احدى زياراته للهرم باغتته الحية بلدغة مميته .

و مع توالى الحضارات و اندثار بعض الحقائق . و هكذا ياولدى وصل الإرث لوالدك الرفاعى

لقد كان والدك الطفل الوحيد على خمس فتيات و كان جدك يتزوج النساء من أجل انجاب ذكر يتحمل تبعات الإرث و لكنه يأس من انجاب الذكور و يشاء الله عز وجل أن تنجب زوجته الأولى الذكر بعد عشرون عاماً كان جدك حينها في الستين من عمره و لكنه علم ابنته الكبرى فنون السحر و حملها تبعة الإرث و حينما ولد الذكر كانت

فرحته كبيرة و ذبح الذبائح و استمر الاحتفال بقدوم ولى العهد شهور و كان يحمله كل يوم و يقول له

متى ستكبر يا صغيرى لقد خبأت لك الكثير لتتعلمه

كانت هانم ابنته الكبرى تسأله :

أو لم تعلمنى كل شيء يا أبى ؟

يقول بل علمتك ما تتحمليه يا بنيتى و لكن مازال هناك الكثير لايقوى على حمله غير الرجال

كان الفضول يقتل هانم و تقول جربني يا أبى و أن لم اتحمله سأتركه لأخي الصغير

و كان جدك رجل يخشاه الجميع و في أحد مواسم الحصاد زحفت الحيات من كل حدب و صوب .. هرع الناس اليه في خوف لقد كان هجوم من الحيات و الغريب ان بعد الفوضى العارمة و اللدغ و موت بعض الأشخاص اتجهت الحيات الى بيت جدك الذى منذ ان سمع الخبر و هو عاكف في خلوته و لم يجرأ احد على الدخول اليه .. و أحاطت الحيات بمنزله و صعد الجميع في الطابق الثانى خشية دخول الثعابين من اى مكان لقد كان يحضر عدته لمواجهة الحيات .. و في الموعد المحدد و بعد منتصف الليل خرج من محرابه في مواجهة حية عظيمة التي تحدثت اليه عن طريق الجنى الوسيط قائلة :

- انتم يا بنو آدم لا عهد لكم

لقد نفذنا ما طلب منا من قبل و أجدادك نكثوا عهدهم اليوم سنقتل كل نسل الساحر الأعظم و سندمر البلدة بمن فيها حتى نثأر لبنو جنسنا و ما فعلته بنا عائلتك واجدادك

قاطعها جدك قائلاً :

-ايتها الملكة انتى و بنو جنسك هنا لطاعتى و تنفيذ أوامرى و عندما همت بالكلام رتل تعويذة جده القديمة التي لم يعرفها خير نسله و أصبحث ارث عائلته

و كانت لها شديد الأثر و ما أن رتل التعويذه حتى أصبحت الحيات خاضعة له و من لم يصله صوته و هو يرتلها هرب كاسابق العهد و أمر جدك الحيات بالمغادرة و عدم العودة مرة أخرى الا بإذن منه و غادروا جميعاً

و لكنه خاف على صغيره .. و دعي هانم و اخاها الصغير لصومعته و عندما دخلت المحراب الذى لم يطأه احد من قبل اخذت تتلفت يميناً و يساراً

و قالت :

-اذا الحيات و التعويذة هي الإرث يا أبتي

-نعم يا بنيتي

أعلمتي الأن ان أخاك هو المؤهل لحمل ذلك الإرث

-نعم أعلم ذلك

- و انتى ستساعدينى في تلقينه و تدريبه على كل شيء

-من اليوم مسموح لكما فقط بدخول المحراب و تعليم أخاكِ ما علمته لكِ

- انه مازال صغير يا والدى

-لا.. ليس صغيراً

-و ليس هناك الكثير من الوقت

-لاننى سأعتكف في صنع شيئٍ ما
- حاضر يا أبتِ
و أحضر أخشاب قوية و النحاس
و ألقى تعاويذه على تلك الأشياء
فظهر شيء عجيب و بدأ في العمل

7

و هانم في رعب مما تراه و الجنى يقطع الخشب و يصهر النحاس و جدك لم ينقطع عن القاء التعاويذ حتى انتهى الجنى من صنع الكرسى و استمر ذلك شهور كثيره
و صرفه جدك .. ثم بدأ ينقش التعاويذ على النحاس و يطرقها جيدٍ و استدعى الجنى مرة أخرى لتثبيتها على الكرسى
لقد كانت التعاويذ تحرق الجنى و هو يركبها في الكرسى و لكن جدك يتلو التعاويذ و لم يستطيع الجنى الا الخضوع حتى أنتهى من تثبيتها صرفه جدك و اعتقه من خدمته مكافأة له
و حمل ابوك و اجلسه على ذلك الكرسى و علمه اللغة التي كتب بها التعاويذ و استمر الحال عشر سنوات في تلقينه تلك الأشياء كان عمر والدك حينها ال ثمانية عشر عامٍ و بدأت حرب من نوع أخر اتفق الجنى المعتوق مع الحيات على القضاء نهائيٍ على نسل الساحر فدعى جنية لغواية ولده و كانت لا تسطيع دخل المنزل من التحصينات فكانت تنتظره حينما يخرج و تحدثه ان يتحرك وحده و يترك من حوله فتظهر له في صورة فتاة رائعة الحسن و ما أن تهم بالاقتراب منه

حتى تجد جدك يرتل تعاويذ الحماية فتسرع في الهرب و تكرر الامر عدة مرات

فقص والدك الامر لجدك الذى اسرع في اختيارى لاتزوج والدك و تزوجنا و كانت اسعد أيام حياتى قضيتها معه في كنف جدك و عندما وجد جدك رباطة جأشى فقص لى كل شيء و طلب منى أن اتعلم تعويذات الحماية لحماية أطفالى فيما بعد

و اشتهر والدك بالرفاعى لما يفعله بالافاعى عندما يراهم أو لهروبهم منه عندما يرونه

و مرت الأيام و هانم تحقد على والدك لما ناله من مكانه و شرف و لقبه الجديد الرفاعى

فدخلت خلوة والدها و تعلمت تعويذة احضار الحيات و الجن و لكنها لم تحفظ تعويذه الخضوع او السيطرة

و في احدى الليالى المقمرة و الجميع نيام

جلست على سطح المنزل و رددت التعويذة مرات و مرات حتى أتت كل الحيات الشاردة و تسلقن المنزل و التففن حولها و لكنها عندما رأتهن خافت و ارتعدت فانتقمن منها اشد انتقام فلدغوها و التفوا حول جسدها و كسروا عظامها و نهشن من لحمها فماتت شر موته و علامات الرعب على وجهها و لم تستطيع ان حتى تطلب النجده لقد شلت بفعل سمومها و انصرفن مسرعات خشية عقاب جدك لهن و ذهبن لمكان الهرم الذى بناه الساحر ليبحثوا عن الإرث و يتخلصوا من التعويذات ثم يرجعوا لجدك و الرفاعى لقتلهم و بحثن داخل الهرم في كل السراديب و كل الغرف و لكنهم لم يجدوا شيء حتى تابوت الساحر لم يستطيعوا فتحه او الدخول لجسده المحنط

و عندما رأى جدك الفاجعة ثارت ثائرته
و أخذ والدك و ذهبوا الى الهرم في الصحراء حيث كل بنو الحيات يبحثوا عن الإرث و دخل الهرم و معه والدك و القى تعويذته فهرعوا اليه طائعين
و جلس يستفسر عن الامر و بعد ان علم الامر حكم على كل من تسبب في قتل ابنته بالحرق امام الجميع و صرخات استغاثه الافاعى في كل مكان و النار تشب في كل غرف الهرم حتى احرق معظم الحيات كان المنظر مرعب لاباك
و لكن في غفله من جدك و هو يخرج من الهرم جاءته افعى لم تسمع التعويذه و لكن آتت على صوت استغاثة الحيات و لدغت جدك لدغة مميتة
و حمله اباك الى البيت يحتضر ووصاه بحماية ارثه و ارشده الى مكانه و ان الكرسى سيحميه من الحيات و يحمى أولاده من بعده ووصاه بتعليم كل أبنائه السحر حتى يحموا انفسهم
و مات جدك

8

و حزنت عليه كل البلدة كانت الفاجعة كبيرة على والدك فكل من حمل الإرث مات بلدغات الافاعى انها لعنه و نقمه و ليست هبه و ميزة فقرر والدك عدم تنفيذ وصية والده بتعليم أبنائه السحر و حمل الإرث و عندما ناقشته في الامر و طلبت منه تعليمك كى تحافظ على نفسك و ذريتك من خطرهم .. رفض اشفاقاً عليك

و استمرت تعويذات جدك في محرابه و لم يدخلها والدك منذ وفاة جدك و لم يستعمل أي سحر .. و لكن حدث مالم يحمد عقباه بدأت الافاعى في الهجوم بشراسة على سكان البلدة و اجتمع اهل البلدة امام منزلنا يطلبون العون من الرفاعى و لكنه كان يرفض لما يعلمه من تبعات الثأر الى ان بدأت الحيات بمهاجمته هو .. و لدغ صديقه المقرب حتى توفى فثارت ثائرته و انتقم منهم أشد إنتقام لقد جمع الناس و ذهب لكهفهم و أضرموا فيه النيران و الدخان و ألقى التعاويذ حتى يخضع الجميع حتى الموت و قضى على كل الحيات و تعقب الشاردة منهم فقتلوهم شر قتلة انتقاماً لجدك و اخته و سكان البلدة و لكنه كان يعلم انه سيموت بلدغهم كسلفه الغابر و لكنه لم يشأ ان تكون نهايتك مثلهم لهذا لم يعلمك السحر و لا التعاويذ و لكن ابقى الكرسى لحمايتك

و كما توقع فمات ملدوغاً و من يومها و أنا لا أنام الليل خوفاً عليك أحرسك ليل نهار لا يغمض لى جفن و أنت نائم

ولكن ياولدى لقد آن الأوان لانهاء هذا الكابوس الغابر .. و لكن ليس هناك بد من تعلمك التعاويذ و معاهدة الحيات ولكن لتأمن شرهم يجب حفظ التعاويذ .

قال :
-و كأنى أحلم يا أمى
-انه قدرك ياولدى
-و صغارى يا أمى ؟
-أنها لعنة الأباء و يجب انهاء هذا الأمر
-لا تخف يابنى اننى سأرشدك عما ستفعله

9

بعد تفكير عميق في الامر دخل حازم غرفة جده ليرى الاعاجيب و كل هذه المخطوطات الأثرية العتيقة التي تشكل ثروة طائلة غير القيمة الحقيقية لتلك التعاويذ و علم لماذا كان والده يعلمه تلك اللغة و قال بأسف ليته علمنى التعاويذ أيضا كان وفر على الكثير من الوقت و فتح المخطوطة الأولى و بدأ يقرأ ما كتب ماهذا ايعقل أن تعمل هذه التعاويذ حتى الأن و ظل يرددها طوال الليل حتى حفظها و غلبه النعاس
فرأى في نومه جده يشجعه و يردد تلك التعويذه بالشكل الصحيح ووالده ينهره لا تحفظ .. لا تقحم نفسك في هذا الشيء و صوت جده يعلوا على صوت أبيه بالتعاويذ و هو يرددها
استيقظ فزع و هو يرددها
وظل حبيس غرفة الخلوة تذهب امه اليه بالطعام و الاطمئنان عليه و يغلق باب الخلوة دون دخولها و استمر الأمر لشهور و بعدها خرج حازم من الغرفة شخص آخر غير الذى دخلها لقد ظل في الغرفة مع

التعاويذ و أرواح الموتى لقد أحيوا داخله ما ورثه منهم من صفات و ذهب للحديقة و جلس على ذلك الكرسى العتيق و غفى و في غفوته رأها مرة أخرى ملكة الحيات

_ أراك جئت اليوم بوجه غير السابق

_ ضحك قائلا و هل وجهى الآن يخيفك ؟

- لا... ولكن أرى الطمع يكسو وجهك كجدك

-اذا ماذا تريدين ؟

- المعاهدة .. و ارثك حتى ندمره و ينتهى ذلك الثأر

-ضحك بصوت مرتفع .. إرثى ؟

-إرثك سبب الكثير من الخسائر لكم و لنا

-اتركنا و شأننا و سنترككم و شأنكم

-دعنى أفكر أيتها الماكرة

و استفاق من غفوته لا يعلم لماذا لا ينهى ذلك الكابوس فهى كانت رغبة والده ووالدته

ولكن أخذ شيطانه يحدثه

-و ماذا بشأن الذهب .. سأجنى ثروة طائلة لتأمن أولادى ثم اعقد المعاهدة

-ولكن اذا ثأرت الحيات من طفلاى ماذا أفعل

-لن يستغرق الامر شيئاً بضع أيام أجمع الذهب و امزق الإرث و اعود و أخطه أنا من جديد لاعلمه لابنائى ليحفظهم فقط و ليس لاستعماله

جاءت أمه و قد لمحت ما بطن من تفكيره .. و قالت

-انك مقدم على أمر جلل.. اتركهم و شأنهم ياولدى

-انهم يريدون الإرث يا أمى و ليس المعاهدة فقط

-الإرث كابوس مدمر دمره ياولدى و انجو بنفسك و اطفالك

-و هل هم سيلتزمون بالعهد يا أمى بعد تمزيق الإرث ؟
انه قدرى يا أمى و ياليت والدى علمنى منذ صغرى
ولكنى سأجد الحل المناسب لانهاء تلك المأساة
و لكن أرادت الحيات تلقينه درساً و ان يرضخ لهم لقد اعتقدوا انه لا يضاهى جدوده شجاعة أو اقدام و أنه ضعيف
فبينما صغاره يلعبون في الحديقة حتى ظهرت لهم قطة صغيرة فحاول الأطفال الإمساك بها و اللعب معها و هي تجرى منهم حتى دخلت في فتحة صغيرة في نهاية الحديقة و الأطفال خلفها حتى وصلوا وسط الهرم الذى بناه جدهم الأعظم
و هو غارق في تجهيز خطة لاخضاع الحيات لاحضار الذهب سمع صرخة قوية أرعبته انها زوجته تبحث عن أطفالها و لم تجدهم فقالت الأم في حدة ألم أقل لك هذا ؟
-أمى الحيات تلدغ و تترك الجثث
-ان الأطفال في مكان ما يلعبون
-يابنى أشعر بالخطر يقترب منك و من صغارك
-سأبحث عن أطفالى أولا يا أمى ثم نكمل حديثنا
و زوجته تهرول في ارجاء البيت و الحديقة و لكن دون جدوى
و ارتفع النواح و العويل من أم مكلومة لا تعرف ان كان أبنائها أحياء أم أموات
وهو لم يصدق أنهم ماتوا أو ان للحيات دخل بالامر
و انتشر الناس في ارجاء البلدة يبحثون عنهم دون جدوى
لقد نسى أمر الإرث و المخطوطات و الحيات و المعاهدة
و نصحه بعض أصدقائه بالبحث في بئر البلدة الذى يشربون منه الماء
و ابدى استعداده صديق له بالنزول للبئر و البحث عنهم

ولكن دون جدوى

و الام تنصحه بملاقاه الحيات و سؤالهم و هو يصر أن لا دخل لهم بالأمر

ولكن أرسلت له الحيات رسالة في غفوته مضمونها ان اطفاله في حوذتهم و الإرث و المعاهدة أو لن يرى أطفاله مجددا

10

كانت المفاجأة قاتلة كيف استطاعوا اختطاف اطفالى ؟

هرع لأمه

-ماذا أفعل يا أمى كنتِ على صواب الحيات اختطفت صغارى

-ياولدى الحيات تحافظ على صغارها و تقتل من أجلهم فهى تعلم ان صغارك وسيلة الضغط الوحيدة عليك

-ولكن ياولدى أي تصرف أحمق سيقضى على صغارك فتريث قبل أي شيء

-أمى القضية الأن حياة أو موت

-ياولدى القضية طول الوقت حياة أو موت

-انك ياولدى أبعدت رغماً عنك من والدك للحفاظ عليك

-و لكنك ياولدى أغرتك النفوذ و بريق الذهب و ستكون سلسلة لا تنقطع من الكر و الفر بينك و بينهم

-ياولدى حان الوقت لقطع تلك الرابطة للابد

-و من يضمن لى يا أمى ان دمروا الإرث انه لن يؤذوا الصغار

-حازم أمازلت تجادل فكر في الصغار أولا

و تركته و انصرفت ...
جلس يفكر و يفكر
الى أن خطرت له فكره شيطانية و لكن لابد من شخص آخر يساعده ... ولكن من سيلقى بنفسه في التهلكه من أجله أو حتى من أجل صغاره ؟
و ذهب للحديقة
و بحث في كل جزء منها و آثار صغاره في كل جزء فيها و لكنه توقف عند صخرة صغيرة تسد جحر لاحد الثدييات و لكنه عندما زال الحجر وجد الجحر كبير جدا و لهذا سد بالصخرة ولكنه لم يكن موجود من قبل
اذا أطفاله خطفت عن طريق ذلك الجحر
و ذهب لامه يطلب مشورتها
فتنهدت ياوالدى ان نهاية ذلك السرداب هرم جدك الأعظم كان الجميع يذهبوا اليه من هذا المكان و لقد سده والدك بعد وفاة جدك و زرعت شجرة تكبر بسرعة كى تغطى المكان و طالما ان الحيات فكرت بهذه الطريقة فهى تحتجز أطفالك في محراب الهرم ولكن كيف ستدخله ؟
-أمى إن عندى خطة لاستعادة أطفالى و لكن لن أستطيع تنفيذها وحدى
-ولن يوافق أي شخص على تنفيذها و يعرض نفسه للهلاك
-أنا معك ياولدى ولكن ماهى خطتك ؟
-ليس الآن يا أمى سأخبرك في الوقت المناسب
-فالحيات لن تستطيع خطف أطفالى دون مساعده الجان لهم و الحيطان لها آذان يا أمى

-انك محق يا ولدى
و أخبر زوجته أنه سيسافر يبحث عن أطفاله هو و أمه و خرجا في الصباح الباكر حتى خرجا من البلدة كلها و هو لا يتكلم مع أمه و لا هي و لكن يشير لها بيده انهم اقتربوا و بعد حوالى 5 ساعات من السير المضنى
اخرج من راحلته جرتان و بهما بعض قطع اللحم و دفنهم في الرمال و رفع الغطاء بعصى و شبكه باللحم و اختفيا
عن الأنظار و هما يتابعان من بعيد حركه الغطاء و بعد وقت طويل و قد أوشك الظلام أن يخيم على المكان أغلقت إحدى الجرتين فما كان منهم الا انتظار الجرة الأخرى
و أشعل النيران و باتا ليلتهما في ترقب و انتظار و مع ضوء الفجر تفقد الجرة الأخرى ووجدها مغلقة
فذهبا و أحضروا الجرتين ثم تلى تعويذة الخضوع و فتح الجرتين ليجد ما أراد حيتان من فصيلة الكوبرا الملكية فأخرج خنجره و شقهما به و هم في خضوع تام و دهن جسده و ملابسه بإحداهن و دهن ملابس و جسد أمه بالأخرى حتى ضاعت رائحتهم و أصبحت كرائحة الأفاعى و عادا في ظلمة الليل الى حديقة منزلهم متخفيين و رفعا الصخرة و احضر مشعل صغير و دخلا زحفاً في ذلك السرداب حتى وصلا لوسط الهرم داخل المحراب ووجد صغاره نائمين و أمامهم بعض الفواكه
فنظرت له أمه
في إصرار على انهاء الامر و التخلص من التعويذات و حملا هو و امه طفلاه بهدوء و خرجا من نفس الطريق مرة أخرى دون ان يلاحظهم أي أفعى فرائحتهم كالأفاعي و لم يثيروا أي ضجه ..

و القى تعويذة الحماية على صغاره و زوجته و ارسلهم بعيدا حتى ينهى الأمر مع الافاعى
ولكنه كان مصر على عقابهم و بوحشية و لكن أمه كانت تثنيه عما ينوى فعله و هو يصر على ذلك
و جلس في الحديقة على كرسى الحماية و هو يشعر برغبة ملحة في الانتقام .. و الشرر يتطاير من عينية كالذى يجلس متربص بفرائسه .. لم يعلم كم من الوقت مضى و هو جالس ينتظر قدومها أو أن يغفو و يراها .. ولكنه سمع حفيف أوراق الشجر و فحيح يعلو صوته شيئاً فشيء حتى أقترب الصوت و أصبح في مواجهته
لكنه لايرى شيء يسمع فقط
فقال ها أنتِ ذا قد حضرتِ أتخشينى لهذه الدرجة كى تختفى عن ناظرى ؟
ضحك صوت نسائى زلزل المكان
-أخشاك أنت ؟
-أنت أضعف بكثير ممن سبقوك
-ولهذا اسمعك فقط و لا آراكِ
-سترى ما يرعبك الساعات الباقية لك على وجهه هذه الأرض يابن الرفاعى
-ها أنا ذا أنتظرك يا ملكة الحيات
و هبت عاصفة في الحديقة فقط و زوبعة كبيرة ما ان انتهت حتى ظهرت حية عظيمة التفت و انتصبت قامتها حتى أصبحت أطول من أشجار الحديقة و لها وجه امراة رائعة الحسن .. لم يتوقع أن يرى ملكة الحيات هكذا ! تصور ان يرى الكوبرا ولكن اكبر حجما من قريناتها و لكن هاله مارأى

تحدث بصوت هامس مصحوب بفحيح مستتر
-مارأيك الآن ؟ من يخشى الاخر
-قال في ثبات أنا لا أخشاكِ و لا أخشى الجان الذين يساعدونك
-انا و اجدادى من سخركم جميعاً لخدمته
-اذا لقد آن الأوان لنتحرر منكم معشر البشر
-لن يكون هذا بقرار منكِ بل بارادتى انا ايتها الملكة
-اذا فهات ما في جعبتك يابن الرفاعى و حفيد السحرة العظام
ودوت ضحكاتها ارجاء الحديقة
و بدأ يتلو تعاويذه ولكنها نظرت مباشرة في عينية وأصابته بعدم التركيز فتناسى بعد كلمات التعويذة فلم تفلح معها و استمرت في تركيزها بعينيه تريد أن تبعده عن الكرسى و هو كالمنوم مغناطيسى يهم بالوقوف و الابتعاد عن الكرسى
فقذفت بحجر في عينها لا تعلم من أين أتى و عندما إلتفتت استفاق حازم و القى تعويذته بسرعه أنها أمه من ألقت الحجر لتنقذه ولكنه لم يستطيع حمايتها فركلتها الحية بذيلها ألصقتها في أخر الحديقة مهشمة العظام ولكن عيناها مازالت على ولدها و أراد ان يذهب اليها ولكنه لو غادر مكانه لهلك هو الآخر توسلت عينيى أمه له لا تغادر الكرسى
و لكنه أخد يردد تعويذه الخضوع و لكنها لم تأتى مفعولها مع الملكة لقد سدت أذناها جيداً حتى لا تسمع تعويذته ولكن الجن الذى يتلبسها اخضعته التعويذه
فظهرت على حقيقتها حية الكوبرا و لكنها ضخمة جدا فزالت رهبتها من عينيه و لكنها هربت مسرعة و ذهب هو لوالدته الذى تحتضر

وكانت أخر كلماتها أنهى الأمر يا ولدى عاهدهم و تخلص من الإرث حتى تحقن الدماء و تنتهى الحرب بين نسل الساحر و بنو الحيات !
جفت الدموع في عينيه و نار الانتقام و الحقد من الحيات تخللت خلاياه حتى أصبحت عينيه قطعتين من الجمر و امتلىء قلبه قسوة ..
أراد الانتقام و كأن تلبسته أرواح أجداده لينتقموا من مقتلهم جميعاً بلدغات الافاعي !
وقف بشموخ و أخذ يرتل كلمات لا يعرف كيف ينطقها و تخرج بقوة بملىء صوته الجهوري و أخذ يردد ما يهمس في أذنه :
اقسمت عليكم بالله العظيم الذى سخر عليكم موسى بالذكر الحكيم اخسأوا و كونوا طائعين
بحق كلمة كن فيكون نفذوا ما تؤمرون و كونوا من الصاغرين بحق سحرة فرعون و امة الثعابين
في الاجتماع العظيم عند جبل الطور اجتمعت امة الثعابين مع سيدهم الساحر العظيم
أأتوا الى في الحين !
ما أن أنهى القسم حتى امتلئت الحديقة عن بكرة أبيها بكل أنواع الثعابين و هو يقف وسطهم غير مبالي !
أدار عينيه ليرى كل تلك الجموع و فجأة ظهر شيء قصير مغطى بالشعر الكثيف قائلا :
سيدى انا الوسيط بينك و بينهم ..
تكلم حازم :
قائلاا أيتها الحيات :
لقد قتلتن منا الكثير و أرعبتم بنى البشر دهوا طويلاً
و لن أسامح ابداً في إراقة الدماء و خطف الأبناء ..

و صمت رفع الجنى يده يطلب الكلمه .. فاشار له ليتكلم

و تقدمت احدى الحيات العظيمة و قال :

سيدى حفيد الساحر الأعظم انتم من بدأ بكسر العهود و السيطرة علينا و قتل صغارنا و تشتيت جمعنا لقد حاولنا على مر السنين أن نعقد المعاهدة و تتركونا و شأننا و لكن طمع بنو الانسان عبر الأجيال هو ما وصلنا لما نحن فيه الأن .. سيدى لكم قتلى و لنا قتلى لنا عندكن ثأر و لكم عندنا ثأر اذا المعاهدة و كسر التعويذة هي الحل .

قال : أمهلوني يومين و سأقرر بعدها ماذا أفعل ..

تمت